

تحقيق الدراسة التاريخية للامة العربية

أيها الرفاق الأعزاء^(١)

انها لحظات سعيدة، يصعب علي ان أصف مشاعري وانا أرى الاحلام التي راودتنا في شبابنا وغدت صمودنا حتى نسعد اخيرا برؤية هذا التحقيق الرائع لما كنا نحلم به، لكي نشعر باطمئنان عميق على المستقبل مادامنا قد أوصلنا الامانة الى هذا الجيل من الابطال الذين هم - فعلا - من تلك النوعية التي حملت رسالة العرب الى الانسانية في الماضي، وكلنا إيمان وثقة بأنكم بدأتم الطريق ولن تتوقفوا عند استرداد الحقوق والاراضي، بل ستتابعون لتوحيد اجزاء هذا الوطن الكبير الغالي ولنشر مبادئ العروبة، ولاحلال الامة العربية مكانتها في العالم. هذه المعركة - أيها الرفاق - ستكون مادة لدراسات طويلة في المستقبل، وستكون بداية لمعارك مظفرة قادمة، لانها اذا حللناها بعمق، فاننا نجد فيها العناصر الاساسية لانتصارات المستقبل، نجد فيها المنطلق الصحيح لمعارك المستقبل، نجد فيها الحالة الصحيحة المتكاملة للمجتمع الصحيح الناهض الزاخر بالحيوية، المتعلق بالقيم، المتفجر بالعطاء.

وكان قدر العراق وقدر هذه الاجيال، من مدنيين وعسكريين، الذين يشاركون في هذه المعركة ومن قدر القيادة الفذة التي اتاحت لهذا القطر ولهذا الحزب المناضل، فهنا من قدرهم جميعا ان يشكلوا البداية الصحيحة للنهضة العربية الحديثة، النهضة لم تبدأ مع حزب البعث ولكنها لم تكن في حالة الرشد والنضج

(١) حديث خلال زيارة دار محافظة البصرة في ٢٠/٥/١٩٨١.

والتكامل والوضوح في الاهداف والثقة بالنفس، كل هذه العناصر توفرت في تجربتكم في هذا القطر وفي معركتكم المباركة الراهنة، لم تكن معركة سهلة، وانا ازداد اطمئنانا كلما سمعت من قادة الجيش ومن القادة الحزبيين بانهم لا يستسهلون ولا يستخفون بالعدو لان هذا يشكل الضمانة الكبيرة لاستمرار الانتصارات وهو العلامة المميزة للمعارك التاريخية التي ترى الامور بنظرة موضوعية وعلمية ومنصفة، ففي هذا تزكية كبيرة لمعركتنا ولحزبنا وللقيادة التاريخية لحزبنا في العراق بأن يبادروا وأن يبادر القائد لان له الاسبقية وفضل الريادة الى اقتحام معركة فيها جملة اشكالات كانت كافية لكي يتهب الكثيرون امامها، ويتهب من الولوج اليها. ولكن لانسى انها كانت معركة البعث، ولانها معركة البعث فهي قادرة ان تقبل التحديات الصعبة الكبيرة، وبالفعل كان فيها تحديات لحزبنا الاصيل: هل يستطيع ان يبرهن ليس بالكلام فحسب وانما في اقسى حالات العمل واكثرها جدية وهو القتال والحرب، ان يبرهن بانه هو حامل راية القيم الروحية التي يتستر بها العدو والتي اراد من وراء استخدامها ان يلقي الانقسام في مجتمعنا، وأن يلقي الوهن والفوضى؟ فاذا بحقيقة هذا المجتمع تظهر جدية مشرقة وبأنها قد تجاوزت ومنذ زمن هذه المستويات الرخيصة المتخلفة، وانها هي الامة العربية صاحبة الرسالة، وانها في طور انبعاث حقيقي، وان الاخرين لا يستطيعون ان يرهبوا، لانها على ابواب نهضة عميقة وشاملة وان شروط هذه النهضة قد توافرت وان ما يؤخر ظهورها وانطلاقها في بقية اجزاء الوطن العربي هي الاوضاع المصطنعة التي يفرضها بعض الحكام وبعض الانظمة المناقضين لاتجاه التاريخ ولسير الزمن، وانه مثل ما اعطى العراق هذا المثل الباهر فان روحا جديدة ستدب في نفس كل عربي. هذه في الواقع هي البداية الصحيحة للوحدة العربية، لان الوحدة العربية يجب ان تبدأ بوحدة النفوس - بالحالة النفسية الموحدة، بالحالة الفكرية الموحدة، فعندها تصبح العقبات المادية سهلة الاجتياز. أما الدرس الذي اعطته هذه المعركة للعدو، ولاندري هل استوعبه كل الاستيعاب هو ان الامة العربية بدأت نهضتها منذ قرنين، وان هذه النهضة هي التي كانت على امتداد الزمن تحرض الشعوب الاسلامية وتلهبها لكي تستيقظ وتنفض

عنها غبار التخلف والقيود، فلم يكن من المعقول ان يتجاهلوا كل هذا وان يحسبوا انهم سيعلمون الامة العربية طريق النهوض وطريق الاصلاح ولكن هذا ما يطمئن على ان حربهم خاسرة ومحاولاتهم فاشلة .

أيها الرفاق

هذه الشروط التي تجمعت لمعركتنا المقدسة هي صورة عن المستقبل الذي نطمح اليه كأمة، والذي يخلج في ضمير كل عربي، اذ يمثل في وقت واحد وفي صيغة حية، اتصالنا بماضينا الاصيل، بماضي الثورة العربية الاولى، بماضي الرسالة العربية وبناتها الابطال الخالدين، وفي نفس الوقت إنه يمثل العقلية الحديثة المتفتحة للنور وللتجدد وللعلم وللحرية لكي نستطيع ان نصمد في زحام الامم الراقية في هذا العصر، ولكي نستطيع ان نعبر عن أصالة امتنا بعباء جديد، بحضارة جديدة تتضمن الروح الاصيلة ولكنها تتجدد مع ما تتطلبه الحياة الجديدة من وسائل التقدم والرفي .

هذا ما يميز تجربة البعث وبخاصة تجربة البعث في العراق وبشكل أخص تجربة البعث بعد ثورة السابع عشر من تموز، هذه العقلية الجديدة، الاصاله، الايمان الذي يفجر الطاقات والذي يفتح وينشط الحيوية ويدفع الى التقدم والى الحياة الجميلة الراقية التي تسودها روح الحرية والعدالة والانتاج والابداع، لا الايمان الذي يدفع الى الخمول والى الخوف والى الابتعاد عن الحياة والى كراهية الحياة، فهناك فرق أساسي بين أبطالنا الذين يقبلون على الشهادة وهم في ذروة شعورهم بالحياة ويقوتها وبحبها ولكنهم يرون في الشهادة أجمل وأروع تحقق للحياة نفسها وبين الذين يساقون كقطعان في حالة من غياب العقل، فهذا الفارق يعزز ثقتنا بصحة الطريق الذي اخترناه، لان الامة العربية ليست امة صغيرة، ليست هامشية، شكلت في التاريخ وزنا من أهم الاوزان الحضارية ورغم كل ما طرأ عليها من تخلف، من ضعف، من مؤامرات وغزوات همجية، وانها احتفظت بشعورها بأنها أمة عظيمة، وأن لها دوراً في الحضارة وفي تقدم الانسانية هذا الشعور لن يفارقها يوماً من الايام حتى في أسوأ حالات التخلف والتجزئة والقهر، فمما يزيدنا ثقة وإيماناً

بتواصل الانتصارات وبأنها ستؤدي الى نصر مؤكد ونصر خالد سوف تذكره الاجيال، هو ما نلمسه عند كل جندي بأنه مستوعب لاهم مميزات هذه المعركة ولاهم معانيها التاريخية. قد لايجيد التعبير الطويل والمفصل عنها، ولكن هذا واضح في كلماته البسيطة وفي إشراقة وجهه وفي حماسه واندفاعه وفي صبره وصموده، لانه قد دخل المرحلة التاريخية الجديدة، أصبح مشمولاً بالحالة الحضارية الجديدة التي جسدتها ثورة الحزب في العراق وجسدتها معركة القادسية الجديدة، هذا النصر مختلف عن كل ما عرف في حياة العرب الحديثة، لانه ليس نصراً مؤقتاً وليس نصراً جزئياً وليس مجرد نصر عسكري، وانما هو موضوع في إطار نظرة عقائدية شمولية تاريخية متوجهة نحو المستقبل البعيد، وهذا يختلج في كل الضمائر، لذلك عندنا يقين، يقين مطلق، بان مهما حاولت الدول الطامعة في أرضنا وثوراتنا ومهمنا حاولت الانظمة العربية المتآمرة والمذعورة من ظهور الصيغة الثورية الصحيحة، مهما حاول كل هؤلاء أن يضعوا العراقيل، أن يعتصموا على النصر، أن يكتلوا ويجمعوا، فنحن على يقين تام بأن هذا النصر الذي يتحقق بصورة مثالية لم تعرف الا في حالة الرسالة الروحية، الرسالة السماوية التي انطلقت من أرض العرب، لم يعرف بان الشعب بكامله، بكل فئاته، بكل ادوار العمر يتوجه نفس التوجه ويريد نفس الارادة بمثل ما هو متحقق الآن.

هذه بداية التحرر العربي، بداية الوحدة العربية، فانه لم يتح حتى الآن، أن تتكون خميرة بمثل هذه القوة، القوة الروحية أولاً، والقوة المادية ثانيا كنتيجة للقوة الروحية، الارادة اولاً، والتحقيقات والانجازات والمستلزمات المادية كثمرة ووليد لهذه الارادة، اذن لقد تحققت طاقة متفجرة، طاقة خلاقة محتوم عليها ان تسري وان تشع، لانه لايعقل ان تبقى محصورة في أسوار الحدود المصطنعة المفروضة من الاجنبي على الاقطار العربية، لانها هي حالة روحية وحالة نفسية وحالة فكرية ونفوس متفتحة لها، وسوف تفعل فعلها وتخصب وتثمر، وسوف نستمر نواصل النضال ونواصل القتال بهذا اليقين، يحدونا اليقين والايمان لان ما نعمله وما نحققه انما هو الارادة التاريخية للامة العربية... والسلام عليكم... ٢٠ أيار ١٩٨١